

112042 - استغاثة من أم كان ابنها مستقيماً فوقع في الإلحاد !

السؤال

فضيلة الشيخ أرجو أن يتسع صدرك لاستغاثتي في مصيبتني في ابني ، وترشدني إلى الرأي الصواب بأسرع وقت ممكن :

أنا عندي أربعة ذكور ، أكبرهم عنده 28 سنة ، وآخرهم 21 سنة ، ولقد رببتهم على الالتزام والشرع ، فنحن أسرة ملتزمة ، وبيتنا وعمل زوجي أيضا منارة للدعوة الإسلامية ، ولكن للأسف كان ابتلاؤنا في ابننا ، ومصيبتنا في دينه ، فالابن الكبير مهندس مرموق ، وطموح جداً ، وذكي جداً ، ولكن للأسف فوجئنا به يكره الدين ، والتزاماته ، وتكاليفه الشرعية ، ويتهمنا بأننا شاذون عن المجتمع ؛ لحرصنا على عدم الاختلاط ، وبدأ بإنكار السنّة ، والتهمك على أوامر الدين ، وأتم كل هذا ، وكانت الطامة الكبرى عندما اصطحبناه للعمرة عسى أن يهديه الله أنه لم يقم بها ! ولا الصلاة في المسجد الحرام ، وامتنع عن الصلاة نهائياً إلا صلاة الجمعة ، يؤديها فقط إرضاء لنا ، عرفنا وقتها أن ابننا ملحد ، وعرفنا أنه أيضا ثقف نفسه من مواقع الإلحاد على النت ، وهذا بحكم عمله أنه يعمل على الكمبيوتر ، وحاولنا كثيراً معه بالإقناع ، وجلس مع شيخ ، وأدخلناه موقع " طريق الإيمان " ليحاوِر إخوة عندهم خبرة ودراية بالرد على الشبهات ، واستمر معهم حوالي 6 أشهر ، ولكن لا فائدة ، وعلمنا أنه يدرس هذا الأمر من أربع سنوات ! والآن كلما واجهناه بالكفر ينكر ويقول : أنا مسلم اسماً وأمام الناس ، ولا أشيع هذا الأمر ، وهذا أمر يخصني ، وأنا الذي سأحاسب ، ويريد أن يتزوج مسلمة ، ونحن أوقفنا زواجه ، وامتنعنا أن نشاركه فيه ، ولو حتى الخطبة ؛ لأن الناس تنخدع بنا كملتزمين ويحسبوه كذلك ، وهو يتهمنا بأننا السبب في هذا الحال الذي هو عليه من تشددنا ، ويقول : أين دعاؤكم المستجاب ؟ وأين الله الذي سيهديني ؟ وقد عمل عمرة قبل ذلك ودعا الله فيها أن يهديه ، هو يقول : لكل شيء سبب ملموس وعلمي ، وأنا لا أرى الله وينكر .

الإجابة المفصلة

نسأل الله تعالى أن يُعظم لكم المثوبة ، وأن يجزيكم خيراً على ما تقدمونه لأولادكم من عناية ورعاية ، وتربية إسلامية ، وقد لمسنا من خلال رسالتكم قيامكم بما أوجب الله تعالى عليكم تجاه الأمانة التي ائتمنكم عليها .

وخروج ابنكم عن طاعة ربه تعالى ، ورضاه لنفسه بطريق الانحراف والضلال والإلحاد : لا ينبغي أن يسبب لكم قلقاً في أنكم مقصرون ، أو أن تربيتكم لأولادكم هي السبب ، كما قال ذلك الابن المنحرف ، بل أنتم على خير عظيم ، إن شاء الله ، وغيركم ممن لم يفعل فعلكم هو المقصّر في حق نفسه ، وفي حق أولاده ، فلا تلتفتوا لوسوس الشيطان ، ولا يصدنكم كلام ابنكم عن الاستمرار في التربية الإسلامية لأولادكم، وفي البقاء على

الالتزام بشرع الله تعالى .

واعلموا أنكم غير آثمين على ما وصل له حال ابنكم ؛ لأنكم لم تقصروا في توجيهه ،
وتربيته على الإسلام ، ومن كان هذا حاله : فإنه لا يَأْتُم إن خرج بعض أفراد أسرته عن
جادة الصواب ، وإنما يَأْتُم من كان مقصراً ، أو مهملاً في رعاية أولاده والعناية
بهم .

وها هو نوح عليه السلام رأينا ماذا حلَّ بابنه وامرأته ، فقد هلكا مع الهالكين
، ولم يألُ نوح عليه السلام جهداً في دعوتهم وهدايتهم ، ولم يستجيبا له ، فعاقبهما
الله ، وكانا من المغرّقين .

ومثله يقال في امرأة لوط عليه السلام ، ووالد إبراهيم عليه السلام ، وأبي طالب عم
النبي صلى الله عليه وسلم ، فكل أولئك الأنبياء والرسل قد أدوا ما أمرهم الله تعالى
به من الأمانة على أكمل وجهها ، ولم يقصروا في حق أهليهم ، ولكن القلوب بيد الله
تعالى يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وما يضل إلا الفاسقين ، قال الله تعالى :
لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (البقرة / 272) ،

وقال سبحانه : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) القصص / 56 .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - :

يُخبر تعالى أنك يا محمد - وغيرك من باب أولى - لا تقدر على هداية أحد ، ولو كان من
أحب الناس إليك ، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق : هداية التوفيق ، وخلق الإيمان في
القلب ، وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالى ، يهدي من يشاء ، وهو أعلم بمن يصلح
للهداية فيهديه ، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله .

وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ) : فتلك هداية البيان والإرشاد ، فالرسول يبين الصراط المستقيم ،

ويرغب فيه ، ويبذل جهده في سلوك الخلق له ، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان ،
ويوفقهم بالفعل ، فحاشا وكلا . " تفسير السعدي " (620) .

وانظري جواب السؤال رقم : (12053)

(.

وعليه فليس أمامكم إلا الدعاء له بالهداية ، فألحوا على ربكم تعالى ،
وأكثروا الدعاء له في أوقات السحر ، وفي السجود ، فلعلَّ الله تعالى أن يستجيب لكم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ / قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا تَكُنَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ)

رواه الترمذي (1905) وأبو داود (1563) وابن ماجه (3862) ، وصححه الألباني في " صحيح الترمذي " .

قال العظيم آبادي - رحمه الله - :

(دعوة الوالد) أي : لولده ، أو عليه ، ولم يذكر الوالدة ؛ لأن حقها أكثر ، فدعاؤها أولى بالإجابة .

" عون المعبود " (276 / 4) .

وقال المناوي - رحمه الله - :

(ودعوة الوالد لولده) لأنه صحيح الشفقة عليه ، كثير الإيثار له على نفسه ، فلما صحت شفقتة : استجيبت دعوته ، ولم يذكر الوالدة مع أن أكديتها حقها تؤذن بأقربيتها دعائها إلى الإجابة من الوالد ؛ لأنه معلوم بالأولى .

" فيض القدير " (301 / 3) .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -

(دعوة الوالد) في بعض ألفاظ الحديث (على ولده) ، وفي بعض ألفاظه مطلقة (الوالد) أي : سواء دعا لولده ، أو عليه ، وهذا هو الأصح ، دعوة الوالد لولده ، أو عليه مستجابة ، أما دعوته لولده : فلأنه يدعو لولده شفقة ، ورحمة ، والراحمون يرحمهم الله عز وجل ، وأما عليه : فإنه لا يمكن أن يدعو على ولده إلا باستحقاق ، فإذا دعا عليه وهو مستحق لها : استجاب الله دعوته .
هذه ثلاث دعوات مستجابات : دعوة المظلوم ، والمسافر ، والوالد ، سواء الأم ، أو الأب .

" شرح رياض الصالحين " (157 / 3) طبعة دار ابن الهيثم .

وقد بينا شروط الدعاء لكي يكون مستجاباً مقبولاً عند الله في جواب السؤال رقم (13506)

وذكرنا أماكن وأوقات إجابة الدعاء في جواب السؤال رقم : (22438) .

فليظروا .

وأما ما أنكم لا تساعدونه في أمر زواجه ، ولا تذهبون معه إلى أحد ، فهذا هو الواجب عليكم ، ولو بقي على هذه الحال إلى آخر عمره ؛ فالناس ، كما قلت . أيتها السائلة

الكريمة . سوف يغترون بحالكم ، ويظنون أن ابنكم مثلكم ، أو . على أقل حال . إن
اختلف ، أو ساء أمره ، فلن يتصور أحد أنه قد بلغ هذا المبلغ وينبغي الاستمرار في
نصحه والاستعانة بمختص في هذا الباب يجلس معه ويحاوره ويرد على شبهاته ، فهذا قد
يكون أجدى وأنفع من المحاورة عبر المواقع الإلكترونية .
نسأل الله أن يهدينا وإياكم سواء السبيل ، وأن يصلح لنا أزواجنا وذرياتنا .
والله أعلم